رسول الله ﷺ ظل ثابت الجأش مطمئن الخاطر، تغمره السكينة والطمأنينة، ويملأه اليقين بأن الله يرعاه ويحوطه، وأن قريشًا لن تنال منه منالا، مهما دبرت له من كيد، ومهما استعانت بمالها من الخبرة والقوة والمكانة. فقد رَوى الرواة أن فِتيان قريش لما وصلوا إلى الغار وسمع أبو بكر دَبيب أقدامهم إزاءه، اشتد خوف أبى بكر على حياة الرسول حتى بكى، وقال: «يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى موضع قدميه لأبصرنا!» فهدّأ رسول الله ﷺ من رَوْع أبى بكر. وقال له: «لا تحزن، إن الله معنا! ما ظَنُّك باثنين الله ثالثهما؟».

ولم تكد تمضى الثلاثة الأيام، حتى كانت قريش قد يئست من العثور على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأيقنت أنه قد أفلت من يديها، وأخذ فى طريقه إلى أصحابه بالمدينة؛ فكفت عن البحث عنه فى مكة وما حولها، ووجهت اهتمامها إلى طريق المدينة، فأرسلت بعض فتيانها إلى هناك، وأذاعت فى أهل السواحل أن من يأتيها بمحمد أسيرًا أو قتيلا فله مائة ناقة.